حفظ القرآن الكريم

هدي متبع وسنة في الدين

كتبه

علي حسين الفيلكاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فإن حفظ القرآن الكريم هدي متبع وسنة في الدين، وهو من أجَلِّ العبادات والطاعات، ومن أفضل القُرُبات التي يتقرَّب بها العبد المؤمن إلى ربِّه ومولاه جل جلاله، فليحرِص العبد المؤمن على أن يَحفَظ منه ولو بعضه، فليس بلازمٍ أن يحفظه كله، فإن استطاع أن يحفظه كله كاملاً فليُبادِر وليُسارِع إلى ذلك، وإن لم يستطع فلا يَحرِم نفسه الأجر والثواب، ولو بحفظ بعضه أو القليل منه.

وقد بدأ جُل الأئمة بحفظه في الصِّغَر، وهم دون البلوغ، فحفظوا ألفاظه، ثم اتَّجهوا بعد ذلك إلى طلب العلم الشرعي، علم الكتاب والسنة، فنالوا منهما ما كتبه الله عز وجل لهم، فتعلَّموا التوحيد، وعرفوا الاعتقاد الصحيح، وعرفوا وفهموا من معاني القرآن الكريم ومن تفسيره ما يسَّره الله تبارك وتعالى لهم، ودرسوا علوم الحديث، والفقه، وغيرها من الفنون، وضبطوا أصولَ أهل السنة والجماعة وقواعدَهم، فجمعوا بين الحُسنَيَين، فَلِلَّهِ دَرُّهُم.

وكُتب التراجم طافحة بذكر البدء بحفظ القرآن دون اشتراط الجمع بين الحفظ ودراسة التفسير، ودون تخطئة من هذا حاله من حَفَظَة القرآن الكريم، وأنَّ جُلَّ الأئمة والعلماء إن لم يكونوا كلهم، قد حفظوا القرآن في الصِّغَر، ومن لم يَذكُر هذا الأمر – عن الأئمة والعلماء – من مؤلفي كُتب التراجم؛ فلأنه عنده من المسلَّمات، لا يَحتاج لأَنْ يَذكره.

* وسأذكر ستة أمثلة على حفظ القرآن في الصِّغَر، وقبل البدء بطلب العلم:

١ – الإمام أبو حنيفة رحمه الله (ت: ١٥٠هـ): فقد حفظ القرآن كاملاً وهو صغير.

٢ – الإمام مالك رحمه الله (ت: ١٧٩هـ): فقد حفظ القرآن كاملاً وهو ابن عشر سنين أو أقل من ذلك.

٣ – الإمام الشافعي رحمه الله (ت: ٢٠٤هـ): فقد حفظ القرآن كاملاً وهو ابن سبع سنين.

٤ – الإمام أحمد رحمه الله (ت: ٢٤١هـ): فقد حفظ القرآن كاملاً وهو صغير.

٥ – شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨هـ): فقد حفظ القرآن كاملاً وهو صغير.

٦ – شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (ت: ١٢٠٦هـ): فقد حفظ القرآن كاملاً وهو دون العاشرة من عمره، وقدَّمه والده ليُصلِّي بالناس وهو دون الثانية عشرة من عمره.

وهذا المسلك هو مسلك الأئمة والعلماء على مر العصور والأزمان، منذ العصر الأول إلى يومنا هذا، ولا يشكك في ذلك إلا مخذول مفتون!!.

وقد ضلَّ من ظن في هؤلاء الأئمة الأعلام – سواء من المتقدمين، أو من المتأخرين، أو من المعاصرين – ظن السوء، وأنهم قد خالفوا هدي الصحابة، فخرجوا في حفظهم القرآن على هذه الطريقة عن هديهم وعن جماعتهم، ووقعوا في الضلال المبين، لا لشيء؛ إلا لكونهم قد حفظوا القرآن الكريم على خلاف أثر أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله، كما هو زعم طائفة من أهل الأهواء، ومن أهل الجهل والسفسطة والضلال!!.

وأثر أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله المقصود هو:

"حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلَّموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلَّموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلَّمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا".

وهذا الأثر مَن تأمَّله حق التأمل، وفَهِمَه فهمًا صحيحًا، لَوجَد أن أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يُخبِر عن طريقة من تلقَّى عنهم القرآن من الصحابة رضي الله عنهم، وأنهم كانوا إذا تعلَّموا عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلَّموا ما فيها من العلم والعمل، وأنه هو نفسه قد سلك مسلك هؤلاء الصحابة الذين أخذ عنهم القرآن في أخذِه وتعلمه للقرآن، فكان إذا تعلَّم عشر آيات لم يجاوزها حتى يتعلَّم ما فيها من العلم والعمل.

فبيَّن رحمه الله الطريقة المثلى لمن أراد أن يحفظ القرآن، وما هو أسلم وأفضل للحافظ، لكي يجمع بين حفظ القرآن وبين العلم والفقه في الدين، والعمل بما حفظه وتعلمه، خاصةً أنه قد جلس هو نفسه لتحفيظ القرآن وتعليمه بعد أن حفظه وتعلَّمه.

هذا ما يُفهَم من كلامه رحمه الله، وهو ما تدعمه الأدلة الشرعية، وما جرى عليه عمل الأئمة والعلماء، منذ زمن الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا، ولم يُرِد لا هو ولا غيره ممن سيأتي ذكرهم أن يُقرِّروا بأن هذه الطريقة المذكورة – في الأثر المذكور – تلزم كل مَن أراد أن يحفظ القرآن، أو شيئًا منه؛ لا من قريب ولا من بعيد، ومن ادَّعى الإلزام والوجوب فعليه الدليل، وهيهات هيهات!!.

إذ من المعلوم أن الناس يتفاوتون في الحفظ وفي الفهم، فمنهم من يحفظ خمس آيات، ثم لا يُجاوزها إلى غيرها، ومنهم من يحفظ خمسين آية، ثم لا يُجاوزها إلى غيرها، ومنهم من يحفظ أكثر من ذلك أو أقل، ثم لا يُجاوزها إلى غيرها، وهكذا دواليك.

ومن الناس من يحفظ القرآن في الصِّغَر كما حفظه الأئمة الستة المذكورون أعلاه رحمهم الله تعالى، بل وكما حفظه جُل الأئمة والعلماء؛ وأنهم بعد أن أتموا الحفظ كاملاً، توجَّهوا إلى طلب العلم، فجَمعوا بين حفظ القرآن وبين الفقه في الدين والعمل به.

فالاستدلال بمثل هذا الأثر على حصر الحفظ على عدد معين من الآيات، وأنه لا يجوز لأحد أن يتعدى هذا العدد المعين؛ المبيَّن في الأثر، وأن يتجاوزه؛ إلا بعد أن يفهم هذه الآيات فهمًا تامًّا، ويتعلم تفسيرها، ويعمل بها، وأن من لم يفعل ذلك ويلتزمه؛ كان مخالفًا للصحابة، وخارجًا عن هديهم، وعن جماعتهم، إنما هو قول ليس عليه أمارة من علم، ولا يقوله إلا جاهل، أو صاحب هوًى مفتون!!.

إذ من الضلال أن يُقال بأن فعل كل هؤلاء الأئمة الأعلام وحفظهم القرآن في الصِّغر ما هو إلا ضلال في ضلال!!، نعوذ بالله من الضلال، ومن أهله، وممن يلمز العلماء به!!.

والسؤال: كيف يكون ضلالاً ما هو من فروض الكفاية، وما هو لابد منه؛ إذ لابد أن يكون في الأمة حُفَّاظٌ لكتاب الله عز وجل، وإلا أثموا جميعًا، ومع وجود هؤلاء الحُفَّاظ في الأمة يُرفَع الحرج عن غيرهم

من المسلمين، فمن الضلال أن يُجعَلَ حِفظُ هؤلاء الحُفَّاظ للقرآن ضلالاً، وقد رفعوا بحفظهم هذا الحرج عن الأمة بأسرها!!.

أقول هذا القول، لأننا وجدنا أصحاب هذه الدندنة – وللأسف – يستدلون بأثر أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله على: لا أقول تضليل الحُفَّاظ على غير الطريقة المذكورة في الأثر – وإن كان هذا هو الواقع حقيقةً – ولكن أقول على الأقل: يستدلون به على تخطئة كل من يحفظ القرآن على غير هذه الطريقة المذكورة في هذا الأثر، وأنه بحفظه هذا قد خالف هدي الصحابة، وخرج عن جماعتهم، حتى قال قائلهم:



وقد نطق أحدُهم صراحةً بأن الحفظ على غير الطريقة المذكورة في أثر أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله – والتي ينقلها عن الصحابة رضي الله عنهم – من الضلال المبين، وذلك قوله:

"من فوائد أثر ابن مسعود رضي الله عنه: أهمية الفقه والفهم في القرآن الكريم عند أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فالناس يشتركون في قراءة القرآن الكريم وحفظه ويتفاوتون في الفهم ومعرفة معاني كتاب الله تعالى، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن.

ولذا كان لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الفضيلة والمزية على سائر الناس بما فضَّلهم الله تعالى في معرفة كتابه العزيز، وأن سبيلهم في كيفية تلقي القرآن الكريم هو الطريق المستقيم والهدى المستبين، وغيره هو الضلال المبين ..." اهـ.

ولو سألنا أصحاب هذه الدندنة:

هل خرج كل هؤلاء الأئمة – رحم الله تعالى من مات منهم وغفر لحيِّهم – عن هدي الصحابة، إذ حَفِظوا القرآن على غير الطريقة المذكورة في أثر أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله؟!!.

وهل تعدَّوا حدودهم في فعلهم هذا، وزادوا في باب الآداب والأخلاق في طلب العلم زيادةً مذمومةً لا خير فيها؟!!.

فماذا عساهم أن يُجيبوا!!.

فللأسف هكذا يقول أصحاب هذا القول، وهكذا يقررون، وهذا واضح في دندنتهم الأخيرة، وبعد تحولهم الأخير، وهو أمر لا يحتاج من يريد الوقوف عليه إلى زيادة عناء، بل بإمكان كل أحد أن يصل إليه، وأن يقف عليه، وهذا في الحقيقة هو الضلال المبين، ومن كان صادقًا من أصحاب هذه الدندنة وهذه الدعوة الباطلة المنكرة، فليتكلَّم بكلام واضح بيِّن لا يحتمل التأويل، وليُصرِّح بما يُريد وبمن يَعني ويَقصد، أما أن يفتح لنفسه بابًا للعب على الحبلين؛ قصدتُ كذا! وأردتُ كذا!، وفهمتموني خطأ، وو ... إلخ، فهذا أمرٌ مرفوض شرعًا وعقلاً، وهو من مسالك أهل الأهواء والبدع والضلال!!.

ورحم الله العلامة الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، إذ يقول:

"وعندنا نصوص وأحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتجلَّى فيها اهتمامه صلى الله عليه وآله وسلم بإصلاح الألفاظ، كما اهتم بإصلاح الأعمال، من ذلك: قوله عليه الصلاة والسلام وهذا مبدأ عام وعظيم جدًّا: «إياك وما يُعتذر منه»، «إياك وما يُعتذر منه»، وأوضح من هذا قوله عليه السلام: «لا تكلَّمَن بكلام تَعتذر به عند الناس».

هذا هو التأويل، ويزيد الأمر وضوحًا المعالجة الفعلية منه عليه الصلاة والسلام لبعض الأقوال التي صدرت من بعض الأصحاب خطأ، فما نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما نظر إلى فساد تلك الأقوال؛ التي ستسمعون بعضها، ما نظر إلى صلاح قلوب قائليها، وإنما توجَّه إلى إصلاح تلك الأقوال؛ لأنه مكلف من رب العالمين أن يُصلح الأعمال والأقوال مع القلوب ..." (جامع تراث الألباني في العقيدة ٤ / ٩٤).

ويقول: "يجب على المسلمين أنهم قبل أن يَتكلَّموا أن يَزِنوا كلمتهم، فقد ابتدأنا هذا الكلام بقوله عليه السلام: «لا تكلَّمَن بكلام تَعتذِر به عند الناس»، ما لازم تحكي كلام بعدين تندم عليه، وتضطر ماذا؟ إلى تأويله، لا، فكِّر ثم قُل، لذلك جاء في بعض الآثار: «عقل المؤمن قبل كلامه، وكلامه وراء عقله، وعقل المنافق بعد الكلام» يتكلَّم ثم يُفكر، المسلم ليس كذلك؛ يُفكر ثم يتكلَّم" (جامع تراث الألباني في العقيدة ٤ / ٩٨).

ويقول: "فإذًا: لا ينبغي للمسلم أن يتكلم بالكلمة يَضطر بعدها إلى أن يتأولها، قُلها صريحة وليس بعد القرآن أفصح منه: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، أما تتكلم الكلمة وتقول بعد ذلك: والله أنا أقصد كذا وكذا، قال عليه الصلاة والسلام وهذا من تأديبه إيَّانا، لو أطعناه لنجحنا: «لا تَكَلَّمَنَّ بكلام تَعتذِر به عند الناس». «لا تَكَلَّمَنَّ»؛ أي لا تتكلمن. «بكلام تَعتذِر به عند الناس». والرواية الأخرى أقصر من هذا: «إياك وما يُعتذَر منه»" (جامع تراث العلامة الألباني ٧ / ٦٢١).

ومعلوم لدى الجميع أن صاحب هذا المسلك؛ لم يَسلُكه إلا لعجزه عن إظهار ما يُريد ومَن يَقصد، ولعدم قدرته على التصريح بما يعتقد، والله المستعان!!.

والقول بالمنع من حفظ القرآن، أو من حفظ آيات منه؛ ما لم يجمع مع حفظه تعلم التفسير، هو هديٌ مخالفٌ لهدي الصحابة، وخارجٌ عن جماعتهم؛ وهو قول باطل، بل هو غاية في البطلان والضلال والسوء، لا يقوله من عنده أدنى مسكة من علم، وفيه من الصد عن سبيل الله، والسعي في إطفاء نوره سبحانه وتعالى، ما الله به عليم، أراد القائلون به ذلك أم لم يُريدوه!!.

ولولا خشية الاغترار بمثل هذا القول الباطل المنكر؛ الذي ظهر – وللأسف – في أوساط السلفيين؛ لَمَا تعرَّضتُ له، ولَمَا ذكرته؛ لأن بُطلانَه يُغني عن إبطاله، ولكن لا نقول إلا الله المستعان!!.

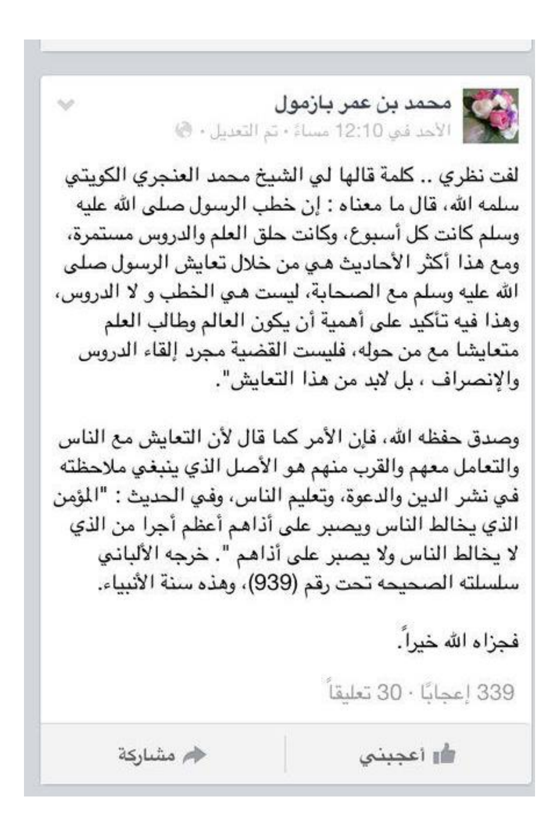
وليس مرادي حقيقةً أصحاب هذه الأفكار الباطلة المنكرة بقَدَر ما أُريد أن أُبيِّن خطرَ التشكيك في هذا الأمر المذكور في جُلِّ كُتُب التراجم إن لم يكن مذكورًا فيها كلِّها، والذي عليه الأئمة والعلماء، أُريد أن أُبيِّنه؛ إذ كيف استطاع القائلون به أن يَجِدوا لهم طريقًا لبثِّه في أوساط السلفيين، مع خطورته وظهور بطلانه، ودون أن نَجِد في السلفيين مَن يتصدَّى لهم، ويُبطِل أقوالَهم.

* وهذا في ظني لأحدِ سببَين:

– إما لضعف دعوة أصحاب هذه الأفكار المنكرة، وأن أكثر السلفيين لا يَلتفِتون إليهم ولا إلى دعوتِهم، ولا إلى ما يقولون ويقررون، وبالتالي لم يَقفوا على هذه التقريرات الباطلة، وهذه الترهات التي يبثونها بينهم وفي أوساطهم، إذ هم في منأًى عنهم، وليسوا حولهم، ولا ممن يرفع بهم رأسًا.

– وإما أنهم يبثون مثل هذه السموم والأباطيل في الأماكن التي يصعب وصولها للسلفيين، ووقوفهم عليها، وبأساليب ماكرة غير واضحة ولا ظاهرة، ثم هم في الأماكن المكشوفة الظاهرة والتي تكون الرؤية واضحةً فيها؛ يُظهِرون خلافها، والله المستعان.

وهذا واضح في هاتين التغريدتين لكل من تأملهما:





فالمتأمل في قول الشيخ محمد بازمول حفظه الله؛ يرى ذلك واضحًا جليًّا، ويعلم علم اليقين بأن القوم لعَّابون، يتعاملون مع كل واحد من الناس – سواء من السلفيين أو من غيرهم، وسواء من العلماء أو من طلبة العلم أو حتى من العامة – بالطريقة التي يَصِلون بها إلى مرادهم.

وإلا ما معنى أن يقال للشيخ محمد بازمول حفظه الله:

"إن خطب الرسول صلى الله عليه وسلم كانت كل أسبوع، وكانت حلق العلم والدروس مستمرة...".

يقول هذا القول للشيخ محمد بازمول وهو لا يَرى إقامة الدروس، ويدندن على أنها خلاف هدي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم!!، وهذا واضح في قوله:

"ودائمًا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم، عندما تقرأ الكثير من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تجد أن العلم يُتناول لا على طريقة الدروس وإنما بالتعايش مع الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، فجُل أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم من خلال التعايش مع أصحابه رضي الله عنهم".

وهو على هذا الرابط عند الدقيقة الثانية تقريبًا:

Indeed Allah’s right is that He doesn’t raise anything in this world except that He also lowers it. - YouTube

ودندنته في هذا الباب كثيرة، يعلم ذلك عنه كل من يَعرفه معرفة دقيقة، ومَن هو قريب منه.

فلا يُزايد أحد علينا في هذا الأمر، وقد وقفنا على ما عند هذه المجموعة من الباطل، ورأيناه رأي العين، وسمعناه بآذاننا، وما تركناهم وفاصلناهم إلا لأجل ذلك، ولِمَا ظهر عليهم – في هذه الفتنة الأخيرة – من انحرافات وضلالات واضحة وضوح الشمس، لا ينكرها إلا من هو جاهل بحال هذه المجموعة، أو مفتون مخدوع بها، أو ببعض أفرادها، أما غير ذلك فلا!!.

فما يقرره القوم اليوم مخالف تمامًا لِمَا كانوا يقولونه ويقررونه سابقًا، وإن ادَّعوا غير ذلك، وأنهم ثابتون على الحق، وهذا أمر واضح لنا، فلا يُزايد أحد علينا فيه، فلسنا نكذب أعيننا وأسماعنا، ونصدق من هو لاعب عابث.

فإن كانوا بالأمس يُجِلُّون العلماء، ويربطون الناس بهم، فهم اليوم ليسوا كذلك!!.

وإن كانوا بالأمس لا يقولون بأن الدروس العلمية مخالفة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

رضي الله عنهم، فهم اليوم يقولونه ويقررونه، ولكن بمكر وخبث ولعب لا يجاريهم أحد فيه، وهذا واضح وظاهر.

ومما يؤكد ذلك، وأنهم لا يَرون إقامة الدروس اليوم، وأن العلم عندهم لا يُنال إلا بالمعايشة، ما قرره أحمد السبيعي؛ حامل لواء باطل هذه المجموعة وناصره، ومروج مذهبها، حيث قال كما في مقطع صوتي له بعنوان: "فضل الله في تيسر العلم وتضييق الخناق على المقتاتين بالدين":

"من فضل الله تبارك وتعالى وكرمه وإحسانه وتيسيره سبل الخير في هذا الزمن، أنك تجد تداول الأحاديث الصحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في البخاري ومسلم وغيره، الأحاديث الكثيرة بتمام ألفاظها في فضل رمضان وصيامه وصفة هدي النبي صلى الله عليه وسلم فيه والصحابة ...

وبالتالي لا يُصبح هناك داعي لتلكم المحاضرات والمواعظ اللي فيها من السعة في القول، والإسراف في الإنشاء، اللي تصل ل ٥٠ دقيقة، وساعة، وساعة ونص، وإذا عصرتها تجد مبناها على حديثين وثلاثة ينالهما المسلم بكل يسر اليوم! مما جعل بعض المسلمين ينصرفون عن أنواع من المتكلمين، خاصة النوعية التي مهنتها هذا الأمر، مهنتها الأمور الشرعية، فهؤلاء ضُيِّق عليهم الخناق وصار عدم وجود حاجة إليهم، وهذا من فضل الله تبارك وتعالى، عليهم إن كانوا صادقين مخلصين لله أن يَفرحوا بهذا الفضل العظيم الذي حصل، وأن يُوجِّهوه وأن يُقوِّموه ... لا أن يُصروا على ما هم عليه وأن يبثوا مفاهيم ومعاني تصرف عن الخير بطرق فيها نوع من التكلف أو غير ذلك".

وقال كما في مقطع صوتي له بعنوان: "الذكاء والمعلومة والفهم":

"فطريقة أنك أنت تلقي الدرس في حلقة محصورة، وفي حدود معينة، وفي كتب معينة، مع من هو متمسك أو مع من هو مقتنع بطريقك فقط!، هذه ليست آلية نشر عامة اليوم مناسبة لما استجد ... ".

وسيأتي بسط مسألة: "المعايشة" وتوضيحها بموضوع يخصها بإذن الله تعالى، ولكن المقصود بيانه هنا هو أن القوم ذَوُو وجوه كثيرة، يتعاملون مع كل إنسان بالوجه الذي يَرونه مناسبًا للتعامل معه، والذي ينالون به مرادهم، وفي الحديث: «شَرُّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ»،

فكيف بذي الوجوه الكثيرة، والله المستعان!!.

والمقصود بيانه هنا هو أن تلبيس القوم على المشايخ أمره ظاهر، وهو مما ينبغي على السلفيين أن يفطنوا له جيدًا، ومن أتم كلام الشيخ محمد بازمول حفظه الله على التغريدة الثانية وما ذكره بعدها، أدرك ذلك:

فبعد أن ختم الشيخ محمد بازمول حفظه الله كلام محمد العنجري بقوله: "كيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبلغ الأمة الرسالة؟"، قال معلقًا عليه:

"وهذا الكلام من أبي عثمان حفظه الله أريد أن أقعده وأشرحه: فأقول:

كان للرسول صلى الله عليه وسلم مجلسه في المسجد، وله كَتَبَة يكتبون الوحي، ويَقصد مجلسه صلى الله عليه وسلم الصحابة رضي الله عنهم ليتعلمون منه الدين.

وفي صحيح البخاري في كتاب العلم بَابُ التَّنَاوُبِ فِي العِلْمِ، تحت رقم (٨٩) بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ، قَالَ: "كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي المَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ".

فكان يتناوب مع جاره في حضور مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم.

لكن هل هذا كل شيء؟.

الواقع أن مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم كان مجلس علم، ومجلس حكم، ومجلس قضاء، ومجلس مشورة، ومجلس حرب إذا لزم الأمر.

فالرسول صلى الله عليه وسلم كان مجلسه فيه معايشة للصحابة في حياتهم، ففي وقت إقراء للقرآن، وفي وقت أسئلة في العلم، وفي وقت حكم في حد، وهكذا ...

وفي صحيح البخاري في كتاب الأطعمة باب أكل الجمار، حديث رقم (٥٤٤٤) بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُلُوسٌ إِذَا أُتِيَ بِجُمَّارِ نَخْلَةٍ،

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ المُسْلِمِ» فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِي النَّخْلَةَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: هِيَ النَّخْلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ التَفَتُّ فَإِذَا أَنَا عَاشِرُ عَشَرَةٍ أَنَا أَحْدَثُهُمْ فَسَكَتُّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هِيَ النَّخْلَةُ».

الشاهد : أن هذه القصة في مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فهذا جانب من معايشة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وحديث جبريل الطويل كان في مجلسه صلى الله عليه وسلم.

وحديث المسيء الصلاة وتعليمه الصلاة كان في مجلسه صلى الله عليه وسلم في المسجد.

وفي صحيح البخاري في كتاب الحدود، بَابُ مَنْ أَمَرَ غَيْرَ الإِمَامِ بِإِقَامَةِ الحَدِّ غَائِبًا عَنْهُ، حديث رقم (٦٨٣٥) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اقْضِ بِكِتَابِ اللَّهِ، فَقَامَ خَصْمُهُ فَقَالَ: صَدَقَ، اقْضِ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِكِتَابِ اللَّهِ، إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا ... الحديث.

فهذه كلها في مجلسه صلى الله عليه وسلم.

والمقصود أن مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن فقط في درس يقرأ متنًا ويشرحه، بل كان فيه معايشة لواقع الناس وحياتهم، ومن خلال هذه المعايشة يأتي البيان والتشريع منه صلى الله عليه وسلم للأمة ! .

وهذه القضية كما يقول أبو عثمان العنجري سلمه الله قضية مهمة.

وسادات العلماء اليوم هم الذين في مجالسهم هذه المعايشة.

فيذكر هذا عن مجلس ابن إبراهيم رحمه الله، ومجلس ابن باز رحمه الله، وغيرهم، رحم الله الأموات وغفر لهم، وحفظ الأحياء بصحة وعافية وسلامة" اهـ كلامه حفظه الله.

ومن تأمل كلام الشيخ محمد بازمول حفظه الله وما قرره في تقعيده وشرحه بعد أن قال: "أريد أن أقعده وأشرحه"؛ وجد أنه يسير في وادٍ غير الوادي الذي تبنَّته هذه المجموعة بقيادتها، والذي تسعى

لبثِّه ونشره بين المسلمين، وهذا واضح في قوله:

١- كان للرسول صلى الله عليه وسلم مجلسه في المسجد، وله كَتَبَة يَكتبون الوحي.

٢- ويَقصد مجلسه صلى الله عليه وسلم الصحابة رضي الله عنهم ليتعلَّمون منه الدين.

أي: جاءوه لطلب العلم، لا للهو واللعب والضحك والفرفشة، وقد استدل الشيخ محمد بازمول على ذلك بفعل عمر رضي الله عنه، وكيف كان يتناوب مع جاره في حضور مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم، لكي لا يفوتهم شيء من العلم.

٣- الواقع أن مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم كان مجلس علم، ومجلس حكم، ومجلس قضاء، ومجلس مشورة، ومجلس حرب إذا لزم الأمر.

٤- فالرسول صلى الله عليه وسلم كان مجلسه فيه معايشة للصحابة في حياتهم، ففي وقت إقراء للقرآن، وفي وقت أسئلة في العلم، وفي وقت حكم في حد، وهكذا ...

٥- والمقصود أن مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن فقط في درس يقرأ متنًا ويشرحه، بل كان فيه معايشة لواقع الناس وحياتهم، ومن خلال هذه المعايشة يأتي البيان والتشريع منه صلى الله عليه وسلم للأمة!.

٦- وسادات العلماء اليوم هم الذين في مجالسهم هذه المعايشة، فيذكر هذا عن مجلس ابن إبراهيم رحمه الله، ومجلس ابن باز رحمه الله، وغيرهم، رحم الله الأموات وغفر لهم، وحفظ الأحياء بصحة وعافية وسلامة.

فأثبت حفظه الله هذا الأمر لسادات علماء السنة، وهو خلاف ما يريده محمد العنجري، وخلاف ما يريده ناصروه ومُروِّجو فكره!!.

ومما ينبغي إضافته هنا، هو أن يُعلَم بأن مجالس أهل العلم من أهل السنة والجماعة لا تخلو من هذه الأمور، ففيها العلم، وفيها الاستفادة، وفيها المعايشة، وفيها التعاون على الخير، وفيها التناصح، وفيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من الخير كثير، مما لا وجود له عند أصحاب هذه

الدندنة المنكرة، ومن ادَّعى غير ذلك، فليُثبته بالدليل، وهيهات هيهات!!.

وبهذا نعلم أن دندنة القوم على المعايشة، إنما يُراد بها معايشة اللعب والعبث والتسلية، وما يغلب عليها الجهل من المجالس، التي يستطيع قائد المجموعة أن يُقرر فيها باطله وضلاله بكل أريحية، ودون أن يُنازعه أو يُناقشه أحد، ويجب على الجميع فيها أن يصفق له ويطبل، وأن يمدحه على كل كبيرة وصغيرة، هذه هي المعايشة التي يريدها هؤلاء، وتريدها قيادة "المجموعة"!!.

وهم يعلمون علم اليقين بأن الشيخ العلامة محمد بن عمر بازمول حفظه الله لا يوافقهم على قولهم، وأنه في وادٍ، وهم في وادٍ آخر، وأنهم لو أظهروا له مرادهم بوضوح، ولم يتلونوا ويتلاعبوا؛ لَمَا قبل منهم قولهم، ولَمَا وافقهم عليه، فضلاً عن أن يمدحهم أو يثني عليهم بسببه، ولكن القوم أهل مكر ولعب وعبث، يَسعون لتحقيق ما يريدون بكل وسيلة، وإن كانت منكرة، فهم لا همَّ لهم في هذا الباب إلا أن يستخرجوا من الشيخ محمد بازمول ومن غيره من العلماء لفظة: "المعايشة"، وأن تكون في متناول اليد عندهم، وأن هناك مِن علماء السنة مَن قد نطق بها، ووافقهم على النطق بها، فليسوا هم وحدهم من نطق بها، أو تبناها!!.

ثم هم بعد ذلك يعرفون كيف يستخدمون هذه اللفظة، وكيف يُجيِّرونها لحسابهم، ويستغلونها الاستغلال الذي ينفعهم، ويمكنهم من أن يقرروا به ما تبنوه من أن الأصل في تلقي العلم هو المعايشة، وأنه لا وجود للدروس عند الصحابة رضي الله عنهم، متناسين كل ما قالوه وذكروه للشيخ محمد بازمول – تلبيسًا وتدليسًا عليه – مما هو خلاف هذا القول الأخير؛ وأنهم قد ذكروا له وجود الدروس عند النبي صلى الله عليه وسلم وعند أصحابه رضي الله عنهم، وأضافوا عليها المعايشة، لا أنهم أنكروا وجود الدروس أمامه!!.

وبهذا نعلم أنهم ما أظهروا للشيخ محمد بازمول خلاف معتقدهم الباطل الذي يعتقدونه؛ إلا لينالوا رضاه، وليحصلوا منه على الموافقة والتأييد، وعلى النطق بلفظة: "المعايشة"؛ لأنهم لا سبيل لهم إلى ذلك؛ إلا بهذا التلون والكذب والتلبيس، فإن ظفروا بما يريدون، وحصلوا منه على لفظة: "المعايشة"، نشروا بها مذهبهم وفكرهم الجديد، وبثوا بها سمومهم، ونصروا بها باطلهم، كما هو شأن كل مبطل

وكل مفسد في الأرض، والله المستعان!!.

وظن هذه المجموعة في السلفيين أنهم أناس ساذجون دراويش، وأنهم سينسون كلامهم الأول، والذي قد قرروا خلافه الآن، كما أنهم لن يفطنوا للفارق بين قول الشيخ محمد بازمول وغيره من العلماء وطلبة العلم وبين قولهم هم في هذه "المجموعة"، هذا ظنهم في السلفيين، وهذا حكمهم فيهم ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٩]، وساء ما يظنون!!.

والمقصود: أن وجود مثل هذا الضلال وظهوره بين السلفيين هو أمرٌ واقع وللأسف، فقد ابتُلِيَت الدعوة السلفية بأناسٍ يَبثون في أوساط السلفيين أمورًا مُنكرةً وإن خالفوا بها أئمةَ السنة وعُلماءَها قاطبة، يَنشرون ذلك دون خوف من الله عز وجل، ولا حياء من عباده المؤمنين، وذلك بدعوى أنهم يسيرون على خطى الصحابة رضي الله عنهم، ويسلكون مسلكهم، ويُحيُون منهجهم، فلا يهمهم والحال هذه أن يُخالفوا أئمةَ السنة وعُلماءَها قاطبة، ماداموا هم بدعوتهم هذه يسيرون على هدي الصحابة، وهذا يعني: أنهم يَرون أنفسهم أنهم هم وحدَهم من يتبع الصحابة، أما أئمةُ السنة وعُلماؤُها فلا!!.

فهل بعد هذا الضلال من ضلال؟!!، نعوذ بالله من الضلال!!.

ومن أنصف من نفسه علم يقينًا بأن هؤلاء القوم – أصحاب هذه الدندنة – هم والله فيما قالُوه وقرَّرُوه من أبعد الناس عن هدي الصحابة، شاءَوا أم أبَوا، وهو ما سيظهر معنا بإذن الله تبارك وتعالى في هذا المقال.

ولقائل أن يقول: لا حاجة لنا بهذا الأمر، ولن يتأثر به أحدٌ منا، لأن بطلانه ظاهر!!.

فأقول: بل الحاجة إليه مُلحة، وهو من الخطورة بمكان، والكلام فيه هو غايةٌ في الأهمية، إذ لا وجود لبيان مثل هذا الخطر – الذي داهم السلفيين وبطرق ماكرة وملتوية يغفل عنها الكثيرون – لا في الكتب ولا في كلام أهل العلم، وذلك لعدم حاجتهم إليه سابقًا، وهذا مما سيَشحذ همم السلفيين – بإذن الله تبارك وتعالى – على بيان هذا الباطل والتحذير منه، وذلك أننا بعد أن كنا

نسمع مثل هذا الضلال من الليبراليين والعلمانيين، وممن هو متأثرٌ بهم من أهل الضلال والفسق والفجور والانحراف من المسلمين، صرنا نسمَعه من المنتسبين للسنة والسلفية، وقد كثُرَت دندنتُهم عليه في الآونة الأخيرة – وللأسف – باسم السنة والسلفية واتباع هدي الصحابة رضي الله عنهم حسب زعمهم، مما يحملنا وكل مَن يفطن لمثل هذا الباطل ولمراد أهله منه؛ على أن نُبيِّن الحقَّ فيه بيانًا واضحًا، لكيْ لا يتأثَّر به السلفيون مع مر الزمان، وهو حاصلٌ مع الوقت لا محالة، وهذه هي غاية من يُدندن عليه، لأن الأمر إذا كَثُر ذِكرُه والدندنةُ عليه، ومِن أناسٍ قد اغتر بهم الكثير من السلفيين، وظنُّوا بهم خيرًا، فلابد وأن يتأثَّرَ به بعض مَن هو مغترٌّ ومخدوعٌ بهم!!، ومن المعلوم أن الشر والباطل إذا ظهر فلابد من ردِّه، والله تبارك وتعالى يُقيِّض له مِن عباده مَن يَرُدُّه ويتصدَّى له، وسيتصدَّى له بإذن الله تبارك وتعالى كثيرٌ من إخواننا السلفيين في الأيام القادمة إن استمر مُقرِّروه على تقريره بينهم وفي أوساطهم، وهو أمرٌ واقعٌ لا محالة؛ فمع استمرارهم على تقريره سيفطن لهم أهل الحق؛ السلفيون، وسَيُرَدُّ عليهم قَولُهم، ويُنكَرُ باطِلُهُم، سواءٌ عن طريق الكتابة أو في الخُطَب والدروس، وسيوجد هذا الإنكار في الكتب وفي كلام أهل العلم بعد أنْ لم يكن موجودًا، إذ لم تكن ثمَّةَ حاجةٌ إليه، وذلك من باب زادوا فزدنا، فما من باطلٍ يَظهر؛ إلا ويتصدَّى له أهلُ الحقِّ والسنة، وهذا من فَضل الله تبارك وتعالى على هذه الأمة، وعلى هذه الدعوة السلفية المباركة.

وتتميمًا للفائدة، وزيادة في البيان والتوضيح، أذكر شيئًا من الآثار التي تَشوَّش بسببها القائلون بإخراج حافظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه عن هدي الصحابة وعن جماعتهم، وصاروا يُشوِّشون بها على طلبة العلم وعلى العامة من المسلمين، بعد أن كان أثر أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله هو العمدة عندهم في هذا الباب!!.

تَشوَّشوا بها مع أنها واضحة وضوح الشمس، متى ما فُهِمَت بفهم العلماء، ومتى ما عُرِفت طريقتهم التي تعاملوا بها مع هذه الآثار، فالعلماء لم يَلتزموا في حفظهم هم للقرآن، ولا في

توجيههم الناس وتعليمهم متى ما دَعَوهم وحَبَّبوا إليهم حفظ القرآن بما تُطالب به هذه "المجموعة"، وتُلزِم به كل من يريد أن يحفظ شيئًا من القرآن، وإلا حكموا عليه بمخالفة هدي الصحابة والخروج عن جماعتهم!!.

وهذا حال كل من اغتر بنفسه، وبما عنده من علم، وهو حال كل من خرج عن هدي علماء السنة، وكل من استقل بنفسه دونهم، فهذا الصنف من الناس زيادةً على أنه يتشوَّش، فإنه يَضِل ويُضِل، والله المستعان!!.

والمقصود: أن الآثار التي سأذكرها؛ والتي تَشوَّش بسببها القائلون بإخراج حافظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه عن هدي الصحابة وعن جماعتهم، هي في الحقيقة لا إشكال فيها، ولا تُشوِّش على أحد ممن عرف الحق وانضبط فيه، ولكن حقيقة هؤلاء القوم وحقيقة تَشَوُّشهم هو أنهم قد تبنوا فكرة المنع من حفظ القرآن لمن لا يحفظه على طريقة أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله ابتداءً، وأن حافظه على غير هذه الطريقة المذكورة في الأثر مخالف لهدي الصحابة وخارج عن جماعتهم، ثم لَمَّا وُجِهوا بذلك ورُدَّ عليهم قولهم، فبدلاً من أن يرجعوا إلى الحق ويقبلوه، ذهبوا يبحثون في الآثار على ما عساهم أن يتقووا به على قولهم الذي خرجوا به على السلفيين، وهذا في الحقيقة ضلال في ضلال، وهو شأن المبطلين، الذين يعتقدون ثم يبحثون لاعتقادهم عما يستدلون به تقوية له، فمبدأ هؤلاء: "اعتقد ثم استدل"، خلافًا لِمَا عليه أهل الحق؛ أهل السنة والجماعة، الذين ينطلقون في اعتقادهم وفي أحكامهم وفي عباداتهم ومعاملاتهم وفي كل شئونهم من الأدلة، ومن الإجماع، فالأصل عندهم هو الدليل، دليل ثابت صحيح، ثم هم بعد ذلك تبع لهذا الدليل، أو إجماع لا خلاف فيه، وهذا غير متحقق في هذه المسألة التي يدندنون عليها، لا من جهة الدليل، ولا من جهة الإجماع، فالأدلة الحاثة على الحفظ لم يأتِ في شيءٍ منها الوقوف عند كل آية لتعلم تفسيرها، ولم تشترط شيئًا مما تُدندن به هذه "المجموعة"، وكذلك يقال في الإجماع، فلو كان الأمر هنا إجماعًا؛ لَمَا خالفه الأئمة على مر العصور والأزمان، منذ القرن الأول إلى يومنا هذا.

وبهذا نعلم أن جمع هذه "المجموعة" للآثار لم يأتِ ابتداءً، وإنما هو بعد أن تبنوا القول من غير دليل، ومن غير أن يجمعوا بين ما فرحوا به من قول أبي عبد الرحمن السلمي وبين ما فهمه علماء السنة منه، والطريقة التي تعاملوا بها معه، ولهذا نجدهم قد وقعوا في المحظور، وازداد الأمر عليهم سوءًا، إذ حمّلوا كل هذه الآثار ما لا تحتمل، وخطّأوا علماء الإسلام، سواء في فهمهم لهذه الآثار، أو في تعاملهم معها، وما ذاك إلا بسبب اغترارهم بأنفسهم، واستقلالهم بها عن علماء السنة، وبهذا ضلوا وأضلوا، والله المستعان!!.

ومن هذه الآثار التي استدلوا بها، وهي في الحقيقة إن دلت على شيء؛ فإنما تدل على جهل هذه "المجموعة" وضلالهم، وعلى انحرافهم في هذا الباب، وأنهم يقرأون ولا يفقهون ما يقرأون، ما يأتي:

* أولاً: استدلالهم بما جاء عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما في "المنتقى شرح الموطّأ"، ولفظه:

"رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ فِي الْعُتْبِيَّةِ كَتَبَ إلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَجُلٌ مِنْ الْعِرَاقِ يُخْبِرُونَهُ أَنَّ رِجَالًا قَدْ جَمَعُوا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى فَكَتَبَ عُمَرُ أَنْ افْرِضْ لَهُمْ فِي الدِّيوَانِ قَالَ فَكَثُرَ مَنْ يَطْلُبُ الْقُرْآنَ فَكَتَبَ إلَيْهِ مِنْ قَابِلٍ أَنَّهُ جَمَعَ الْقُرْآنَ سَبْعُمِائَةِ رَجُلٍ فَقَالَ عُمَرُ إنِّي لَأَخْشَى أَنْ يُسْرِعُوا إلَى الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ يَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ فَكَتَبَ أَنْ لَا يُعْطِيَهُمْ شَيْئًا".

وهذا الأثر لو تأمّلناه لوجدناه حجةً عليهم، وليس هو حجةً لهم، وهذا واضحٌ في قوله: "كَتَبَ إلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَجُلٌ مِنْ الْعِرَاقِ يُخْبِرُونَهُ أَنَّ رِجَالًا قَدْ جَمَعُوا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى فَكَتَبَ عُمَرُ أَنْ افْرِضْ لَهُمْ فِي الدِّيوَانِ".

فلو كان حفظ القرآن دون تعلم التفسير أمرًا منكرًا عندهم، وخلاف هدي الصحابة؛ لَمَا تجرَّأ هذا الرجل على أن يَذكره لعمر رضي الله عنه، ولَمَا فَرَض لهم عمر في الديوان، إذ من المحال أن يَفرِض لهم في الديوان على ما هو مُستقبَحٌ ومُستَنكرٌ عنده، وعلى ما هو مخالف لهدي الصحابة

رضي الله عنهم، كما أنه لمن المحال أيضًا أن يَجهل عمر هذا الأمر المنكر المخالف لهدي الصحابة، ويعلمه هؤلاء، الذين خطَّأوا العلماء، لا لشيء، إلا لكونهم قد حفظوا القرآن على خلاف طريقة أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله!!.

وقد يقول قائل: مادام الأمر مشروعًا، فلماذا يكتب لهم عمر رضي الله عنه أنْ لا يُعطوهم شيئًا، ويمنع عنهم ما قد فَرَضَه لهم؟.

والجواب: أن عمر رضي الله عنه لَمَّا فَرَض لحَفَظَة القرآن في الديوان، ورأى تسارع الناس على حفظه، خشي عليهم أن يُهمِلوا العلم الشرعي، وأن يتركوا ويستهينوا بالفقه في الدين، وأن يُقصِّروا بما هو واجبٌ عليهم، وذلك بسبب توجههم لِمَا هو سنةٌ ومستحب، وهذا واضح في قوله: "إنِّي لَأَخْشَى أَنْ يُسْرِعُوا إلَى الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ يَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ".

فلهذا السبب: "كَتَبَ أَنْ لَا يُعْطِيَهُمْ شَيْئًا"، وليس ذلك منه لكون حفظ القرآن على خلاف أثر أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله مخالفًا لهدي الصحابة، وخروجًا عن جماعتهم، كما هي دندنة هذه "المجموعة"!!.

ولو عَلِم عمر رضي الله عنه منهم الإقبال على الأمرين؛ على التفقه في الدين وعلى حفظ القرآن، أو على التفقه في الدين بعد حفظِهِم القرآن؛ لَمَا مَنَع عنهم ما فَرَضَه لهم، وهذا أمرٌ ظاهرٌ لكل من تأمَّله.

وهو ظاهرٌ أيضًا فيما قاله العلماء وقرروه في هذا الباب، وفي المقصود من هذه الآثار.

ورحم الله الحافظ ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ)، إذ يقول تعليقًا على قول ابن مسعود رضي الله عنه:

"إنَّكَ فِي زَمَانٍ كَثِيرٌ فُقَهَاؤُهُ قَلِيلٌ قُرَّاؤُهُ تُحْفَظُ فِيهِ حُدُودُ الْقُرْآنِ وَتُضَيَّعُ فِيهِ حُرُوفُهُ، وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قَلِيلٌ فُقَهَاؤُهُ كَثِيرٌ قُرَّاؤُهُ تُحْفَظُ فِيهِ حُرُوفُ الْقُرْآنِ وَتُضَيَّعُ حُدُودُهُ".

قال ابن بطال: "فذم من حفظ الحروف وضيَّع العمل ولم يقف عند الحدود، ومدح من عمل بمعانى القرآن وإن لم يحفظ الحروف، فدل هذا على أن الحفظ والإحصاء المندوب إليه هو العمل، ويوضح هذا أيضًا ما كتب به عمر بن الخطاب إلى عماله: إن أهم أموركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها (حفظ) دينه. ولم يُرد عمر بحفظها إلا المبالغة فى إتقان العمل بها من إتمام ركوعها وسجودها وإكمال حدودها، لا حفظ أحكامها وتضييع العمل بها" (شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠ / ٤٢١).

والمعنى واضح وضوح الشمس، وهو أمر يدركه كل من له أدنى مسكة من علم أو عقل، فكلهم يعلم أن المذموم في حفظه هو مَن حفظ الحروف وضيَّع العمل ولم يقف عند الحدود، فليس كل حفظٍ للقرآن مع عدم الوقوف عند كل آية وتعلم تفسيرها يكون مذمومًا، كما هي دندنة هذه "المجموعة"!!.

ويقول الحافظ ابن عبد البر رحمه الله (ت: ٤٦٣هـ) تعليقًا على قول ابن مسعود رضي الله عنه نفسه:

"وَفِيهِ دَلِيلٌ أَنَّ تَضْيِيعَ حُرُوفِ الْقُرْآنِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ لِأَنَّهُ قَدْ مَدَحَ الزَّمَانَ الَّذِي تُضَيَّعُ فِيهِ حُرُوفُهُ وَذَمَّ الزَّمَانَ الَّذِي يُحْفَظُ فِيهِ حُرُوفُ الْقُرْآنِ وَتُضَيَّعُ حُدُودُهُ" (الاستذكار ٢ / ٣٦٣).

فالذم منصرفٌ أيضًا نحو من يحفظ حروف القرآن ويُضيِّع العمل به، ولا يقف عند حدوده، فليس كل حفظٍ للقرآن مع عدم الوقوف عند كل آية وتعلم تفسيرها يكون مذمومًا، كما هي دندنة هذه "المجموعة"!!.

ويقول: "وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ نَصٌّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ يَقْرَؤُهُ مَنْ لَا دِينَ لَهُ وَلَا خَيْرَ فِيهِ وَلَا يُجَاوِزُ لِسَانَهُ، وَقَدْ مَضَى هَذَا الْمَعْنَى عند قول ابن مَسْعُودٍ: وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قَلِيلٌ فُقَهَاؤُهُ كَثِيرٌ قُرَّاؤُهُ تُحْفَظُ فِيهِ حُرُوفُ الْقُرْآنِ وَتَضِيعُ حُدُودُهُ" (الاستذكار ٢ / ٥٠١).

ويقول أبو الوليد الباجي رحمه الله (ت: ٤٧٤هـ) تعليقًا على قول ابن مسعود رضي الله عنه نفسه أيضًا:

"وَقَوْلُهُ وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قَلِيلٌ فُقَهَاؤُهُ، يَعْنِي: أَنَّ مَنْ يَفْقَهُهُ مِمَّنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَلِيلٌ وَإِنَّ أَكْثَرَ مَنْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَلَا يَفْقَهُ فِيهِ، وَهَذَا إخْبَارٌ مِنْهُ بِأَنَّ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ لَا تَقِلُّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَ بِحِفْظِهِ وَأَمَّنَ مِنْ نِسْيَانِهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وَلَمْ يُرِدْ أَنَّ كَثْرَةَ الْقُرَّاءِ عَيْبٌ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَإِنَّمَا عَابَهُ بِقِلَّةِ الْفُقَهَاءِ فِيهِ، وَأَنَّ قُرَّاءَهُ لَا يَفْقَهُونَ وَلَا يَعْلَمُونَ بِهِ، وَإِنَّمَا غَايَتُهُمْ مِنْهُ تَحَفُّظُهُ، وَهَذَا نَقْصٌ وَعَيْبٌ فِيهِم.

وَقَوْلُهُ تُحْفَظُ فِيهِ حُرُوفُ الْقُرْآنِ وَتُضَيَّعُ حُدُودُهُ، يَعْنِي: أَنَّ التَّالِينَ لِكِتَابِ اللَّهِ كَثِيرٌ لَا يَعْلَمُونَ بِهِ، وَلَا لِلنَّاسِ إمَامٌ وَلَا رُؤَسَاءُ يَحْمِلُونَهُمْ عَلَى الْعَمَلِ بِهِ، فَتُضَيَّعُ لِذَلِكَ حُدُودُهُ وَأَحْكَامُهُ، وَبِهَذَا خَالَفَ الزَّمَانَ الْأَوَّلَ الْمَمْدُوحَ، فَإِنَّ أَئِمَّتَهُ كَانُوا يَقْضُونَ بِالْقُرْآنِ وَيَحْمِلُونَ النَّاسَ عَلَيْهِ" (المنتقى شرح الموطإ ١ / ٣٠٩).

ومن تأمل قوله رحمه الله: "وَلَمْ يُرِدْ أَنَّ كَثْرَةَ الْقُرَّاءِ عَيْبٌ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَإِنَّمَا عَابَهُ بِقِلَّةِ الْفُقَهَاءِ فِيهِ، وَأَنَّ قُرَّاءَهُ لَا يَفْقَهُونَ وَلَا يَعْلَمُونَ بِهِ، وَإِنَّمَا غَايَتُهُمْ مِنْهُ تَحَفُّظُهُ، وَهَذَا نَقْصٌ وَعَيْبٌ فِيهِم"؛ بان له انحراف هذه "المجموعة" وجهلها، وظهر له جرأتها المذمومة على دين الله عز وجل!!.

وبسبب هذا الفهم الواضح للآثار، ووضوح هدي الصحابة رضي الله عنهم ومن سلك سبيلهم من سلف هذه الأمة، فإننا وجدنا الأئمة والعلماء من أهل السنة رحمهم الله تعالى، بل ومن غيرهم؛ قد حفظوا القرآن في الصِّغَر، ثم أتبعوه بعد ذلك بتعلُّم العلم الشرعي، والتفقُّه في الدين، ولو كان الأمر منكرًا وضلالاً لَمَا فعلوه، ولَمَا تتابعوا عليه.

ولو لم يكن لدينا إلا أثر عمرو بن سلمة رحمه الله في الرد على هذا القول المنكر الذي تبنته "المجموعة" لكفانا، كيف وفي هذا الباب من الأدلة الشرعية، ومن أقوال الأئمة وأفعالهم ما فيه

كفايةٌ ومَقنَعٌ لكل من يُريد الحق.

وأثر عمرو بن سلمة المقصود هو:

"كُنَّا بِحَاضِرٍ يَمُرُّ بِنَا النَّاسُ إِذَا أَتَوُا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَكَانُوا إِذَا رَجَعُوا مَرُّوا بِنَا فَأَخْبَرُونَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ كَذَا وَكَذَا، وَكُنْتُ غُلَامًا حَافِظًا، فَحَفِظْتُ مِنْ ذَلِكَ قُرْآنًا كَثِيرًا، فَانْطَلَقَ أَبِي وَافِدًا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ فَعَلَّمَهُمُ الصَّلَاةَ، وَقَالَ: يَؤُمُّكُمْ أَقْرَؤُكُمْ، فَكُنْتُ أَقْرَأَهُمْ لِمَا كُنْتُ أَحْفَظُ، فَقَدَّمُونِي، فَكُنْتُ أَؤُمُّهُمْ وَعَلَيَّ بُرْدَةٌ لِي صَغِيرَةٌ صَفْرَاءُ، فَكُنْتُ إِذَا سَجَدْتُ تَكَشَّفَتْ عَنِّي، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ النِّسَاءِ: وَارُوا عَنَّا عَوْرَةَ قَارِئِكُمْ، فَاشْتَرَوْا لِي قَمِيصًا عُمَانِيًّا، فَمَا فَرِحْتُ بِشَيْءٍ بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحِي بِهِ، فَكُنْتُ أَؤُمُّهُمْ وَأَنَا ابْنُ سَبْعٍ أَوْ ثَمَانِ سِنِينَ".

وفي هذا الأثر طفلٌ صغيرٌ يَؤم الكبار، وفيهم أناسٌ من الصحابة، ثم يُقال كما هي دعوى هذه "المجموعة": حِفظُه خلاف هدي الصحابة، وخروج عن جماعتهم، فيا عجبًا: حِفظُه خلاف هديهم، ثم يُقدِّمونه إمامًا عليهم!!.

ورحم الله الإمام الألباني (ت: ١٤٢٠هـ) فقد أثبت هذا المعنى في (سلسلة الهدى والنور، الشريط رقم: ٦٩٤)، بكل وضوح، حين قال:

"لابد من أن نُوجِد طلبةً يحفظون القرآن، ويُحسِنون تلاوة القرآن، وبالتالي يَؤُمُّون الناس ولو كانوا أطفالاً، والمقتدون من ورائهم كانوا شيوخًا؛ لأن العبرة بالحافظ، وليس بالعالم، ولذلك أنا كثيرًا وتَرونَني قد أشرفت على الثمانين أُصلِّي وراء الشباب، لأنهم أحفظ مني للقرآن؛ تطبيقًا لقوله عليه السلام: "يَؤُم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأكبرهم سِنًّا".

وسؤالي لهذه "المجموعة": هل وقع الإمام الألباني رحمه الله هنا في الضلال؟!!.

نعوذ بالله من الطعن في علماء السنة، ومن النيل منهم، وتنقصهم، ومن الظن فيهم ظن السوء، كما نعوذ به سبحانه من مثل هذا القول المنكر الضال، الذي يُخرِج كلَّ حافظٍ للقرآن على غير طريقة أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله عن الهَديِ القويم، وعن الصراط المستقيم.

وفي خاتمة التعليق على أثر عمر رضي الله عنه أقول:

هذا ما خرجنا به من هذا الأثر، وهو مما ينبغي أنْ تُحمَل عليه كلُّ الآثار الواردة في الباب، أثر ابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، وغيرِهم من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين.

* ثانيًا: استدلالهم بما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظه:

"قَدِمَ عَلَى عُمَرَ رَجُلٌ، فَجَعَلَ عُمَرُ يَسْأَلُهُ عَنِ النَّاسِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ قَرَأَ مِنْهُمُ الْقُرْآنَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ يَتَسَارَعُوا يَوْمَهُمْ هَذَا فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْمُسَارَعَةِ، قَالَ: فَزَبَرَنِي عُمَرُ ثُمَّ قَالَ: مَهْ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَهْلِي مُكْتَئِبًا حَزِينًا، فَقُلْتُ: قَدْ كُنْتُ نَزَلْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ مَنْزِلَةً، فَلَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ سَقَطْتُ مِنْ نَفْسِهِ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي، فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي حَتَّى عَادَنِي نِسْوَةُ أَهْلِي وَمَا بِي وَجَعٌ، وَمَا هُوَ إِلَّا الَّذِي تَقَبَّلَنِي بِهِ عُمَرُ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا عَلَى ذَلِكَ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ: أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: خَرَجْتُ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يَنْتَظِرُنِي، قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي ثُمَّ خَلَا بِي، فَقَالَ: مَا الَّذِي كَرِهْتَ مِمَّا قَالَ الرَّجُلُ آنِفًا؟، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ كُنْتُ أَسَأْتُ، فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، وَأَنْزِلُ حَيْثُ أَحْبَبْتَ، قَالَ: لَتُحَدِّثَنِّي بِالَّذِي كَرِهْتَ مِمَّا قَالَ الرَّجُلُ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَتَى مَا تَسَارَعُوا هَذِهِ الْمُسَارَعَةَ يَحِيفُوا، وَمَتَى مَا يَحِيفُوا يَخْتَصِمُوا، وَمَتَى مَا يَخْتَصِمُوا يَخْتَلِفُوا، وَمَتَى مَا يَخْتَلِفُوا يَقْتَتِلُوا، فَقَالَ عُمَرُ: لِلَّهِ أَبُوكَ، لَقَدْ كُنْتُ أُكَاتِمُهَا النَّاسَ حَتَّى جِئْتَ بِهَا".

قلت: تأمَّلوا قوله: "قَالَ: فَزَبَرَنِي عُمَرُ".

ومن المعلوم أن حفظ القرآن بهذه الطريقة لو كان أمرًا منكرًا، وخلافَ هدي الصحابة؛ لَمَا زبَرَه

عمر رضي الله عنه، إذ من المحال أن يجهل عمر ما علمه هؤلاء، الذين خطَّأوا العلماء وأخرجوهم وكل مَن حفظ القرآن بهذه الطريقة عن هدي الصحابة وعن جماعتهم، لا لشيء؛ إلا لكونهم قد حفظوا القرآن بهذه الطريقة ودون أن يجمعوا معه التفسير!!.

بل ومن المعلوم أيضًا أن حفظ القرآن بهذه الطريقة لو كان أمرًا منكرًا، وخلافَ هدي الصحابة، لَمَا قال ابن عباس رضي الله عنهما لعمر رضي الله عنه:

"يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ كُنْتُ أَسَأْتُ، فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، وَأَنْزِلُ حَيْثُ أَحْبَبْتَ"، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وهذا أمرٌ ظاهر.

أما قول عمر رضي الله عنه: "لَقَدْ كُنْتُ أُكَاتِمُهَا النَّاسَ حَتَّى جِئْتَ بِهَا"، فيُقال به كما قيل في الأثر الأول، ويُستدَل له بما استُدِلَّ به هناك من أقوال الأئمة والشراح؛ ابن بطال، وابن عبد البر، وأبي الوليد الباجي، رحمهم الله تعالى.

وبهذا نعلم أن مَنع عمر وابن عباس من حفظ القرآن له أسبابه، كما سبق بيان ذلك، وتفصيله، وليس منعًا مطلقًا، ولا لكونه أمرًا منكرًا، كما هي دعوى هذه "المجموعة" الجاهلة، والله المستعان!!.

* ثالثًا: استدلالهم بما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظه:

"كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، ورُزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرأون القرآن، منهم الصبي والأعمى، ولا يُرزقون العمل به".

وهذا الأثر لا حجة لهم فيه، وليس فيه تحذيرٌ من حفظ القرآن دون تعلم التفسير ولا المنع منه، وإنما فيه الحث على العمل بالقرآن، سواء حَفِظوه عن ظهر قلبٍ أم لم يحفَظْوه، لأن العمل بما هو واجبٌ على الإنسان، مقدمٌ على ما هو سنةٌ ومستحب.

وهذا واضحٌ فيما سبق ذِكره أيضًا من أقوال الأئمة والشراح؛ ابن بطال، وابن عبد البر، وأبي الوليد الباجي، رحمهم الله تعالى.

وواضحٌ أن المقصود من قوله: "كان الفاضل ... لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، ورُزقوا العمل بالقرآن"، أي أنهم يعملون بالقرآن، ويلتزمون أحكامه الشرعية، وإن لم يحفظوه، خلافًا لمن يأتي بعدهم، فالغالب عليهم غير ذلك، وإن كانوا قد يوجد فيهم من هو سالك مسلك الصحابة في هذا الباب، كما هو شأن الأئمة والعلماء من أهل السنة، منذ زمن التابعين إلى يومنا هذا، رحم الله من مات منهم وغفر لحيهم.

وقد يُقال بأن الفرق بين الصحابة ومن بعدهم في هذا الباب، هو انتفاع جميع الصحابة بما حَفِظوه من القرآن، بخلاف غيرهم، فمنهم من هو منتفعٌ بحفظه، ومنهم من ليس له من حفظه إلا الألفاظ، ففيهم وفيهم، فلا يلزم أنْ يُفلِس جميعُهم من العمل، وإن كانوا ليسوا جميعًا أهل عمل كالصحابة رضي الله عنهم، فالصحابة كلهم أهل عمل لا شك في ذلك ولا ريب، بخلاف غيرهم.

ولكن مما ينبغي أن يُعلَم أن أهل الحق والسنة، الذين هم أتباع الصحابة، ويسيرون على خطى الصحابة، ويسلكون مسلكهم، لا يخلو منهم زمان، فهم موجودون إلى قيام الساعة، وهذا واضح في قوله عليه الصلاة والسلام:

"لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُم ولا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ كَذَلِكَ".

فأهل الحق والسنة موجودون سواء حَفِظوا القرآن عن ظهر قلبٍ أم لم يحفَظْوه.

فقوله رضي الله عنه بأن الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، لا يلزم منه أنْ لا يكون هناك من فضلاء الصحابة من قد حَفِظه كاملاً، أو حَفِظ أكثره، كما هو ثابتٌ عن عثمان رضي الله عنه، وعن غيره من

الصحابة رضي الله عنهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨هـ): "وعثمان جمع القرآن كله بلا ريب، وكان أحيانًا يقرؤه في ركعة، وعليٌّ قد اختُلِف فيه: هل حفظ القرآن كله أم لا؟" (منهاج السنة ٨ / ٢٢٩).

وقال: "والقرآن تلقَّته الأمة منه حفظًا في حياته، وحَفِظ القرآن جميعَه في حياته غيرُ واحدٍ من أصحابه، وما من الصحابة إلا مَن حَفِظ بعضَه، وكان يحفَظُ بعضُهم ما لا يحفَظُه الآخر، فهو جميعُه منقولٌ سماعًا منه بالنقل المتواتر، وهو يقول إنه مُبلِّغ له عن الله وهو كلامُ الله لا كلامُه.

وفي القرآن – ما يُبين أنه كلام الله – نصوصٌ كثيرة، وكان الذين رأوا محمدًا صلى الله عليه وسلم، ونقلوا ما عاينوه من معجزاته وأفعاله وشريعته، وما سمعوه من القرآن وحديثه ألوفًا مؤلفةً أكثرَ من مائة ألفٍ رأوه وآمنوا به" (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣ / ٢١).

بل أقول: كون الفاضل من الصحابة رضي الله عنهم لم يَحفَظ القرآن، لا يَلزم منه أنْ يُمنَع المفضول من حِفظِه، ولا أن المفضول منهم لم يحفَظْه.

أما قوله رضي الله عنه: "ولا يُرزقون العمل به"، فلا يلزم منه أيضًا أنْ لا يكون هناك من يُرزق العمل به، أو مَن يجمع بين الحفظ والفقه والعمل، كما هو الحال مع أئمة السنة وعلمائها، وقد سبق ذكر الحديث: "لا تزال طائفة ... إلخ" الحديث.

* رابعًا: استدلالهم بما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أيضًا، ولفظه:

"تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا إيمَانًا، وَأَنْتُمْ تَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَتَعَلَّمُونَ الْإِيمَانَ".

وهذا الأثر أيضًا لا حجة لهم فيه، وليس فيه تحذيرٌ من حفظ القرآن ولا من قراءته دون تعلم التفسير ولا المنع من ذلك، وإنما كل ما فيه أنهم تعلموا العلم الشرعي من عقيدة وعبادات ومعاملات وغيرها قبل أن يتعلموا القرآن، فلما تعلموا القرآن بعد ذلك ازدادوا بهذا العلم وبهذه

العبادة إيمانًا، وهذا واضح، لا ينازع فيه أحد من أهل السنة والجماعة، إذ من المعلوم عندهم ومن المتفق عليه بينهم أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن حِفظَ القرآن وقراءته عبادة من العبادات وطاعة من الطاعات التي يزيد بها الإيمان، وهذا معنى قوله: "تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا إيمَانًا"، وقد دل على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وغيرها من الآيات، ولو لم تكن قراءةُ القرآن وحفظُه عبادةً وطاعةً لله عز وجل؛ لَمَا ازداد الصحابة رضي الله عنهم – بهذا العلم الذي تعلموه بعد أن تعلموا الإيمان – إيمانًا ! !.

ومن المعلوم عند أهل السنة جميعًا أن هذه الزيادة في الإيمان، سواء بسبب قراءة القرآن أو حفظه؛ لابد وأن ينالها العبد المؤمن إن هو أخلص فيها لله عز وجل، وأحسن في اتباعه فيها للرسول صلى الله عليه وسلم، سواء تعلم التفسير أم لم يتعلمه، فمن حقق في حفظه القرآن أو تلاوته له شرطي العبادة فلابد وأن يظفر بهذه الزيادة في الإيمان، وهذا واضح في قوله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حرْفًا من كتاب الله؛ فله به حسنة، والحسنة بعشْرِ أمثالها، لا أقول: (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف"، وقوله عليه الصلاة والسلام: "مَنْ حَفِظَ عشر آيَات من أول سُورَة الْكَهْف عصم من فتْنَة الدَّجَّال"، قال عليه الصلاة والسلام ذلك، دون أن يشترط معه تعلم التفسير، فمن اشترطه بعد ذلك، وأبطل أجر فاعله، وحكم عليه بمخالفة هدي الصحابة والخروج عن جماعتهم، فقد استدرك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه قوله وتشريعه ! !.

والمقصود أننا نخرج من قول ابن عمر رضي الله عنهما: "تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا إيمَانًا"، أن الصحابة رضي الله عنهم قد جمعوا بين الأمرين، فكل من حفظ شيئًا من

القرآن فقد جمع مع هذا الحفظ العلم والعمل خلافًا لمن جاء بعدهم، وهذا معنى قوله: "وَأَنْتُمْ تَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَتَعَلَّمُونَ الْإِيمَانَ"، وذلك أن الناس من بعد الصحابة رضي الله عنهم فيهم وفيهم، ففيمن جاء بعدهم من جمع بين الحفظ والعلم والعمل، كما هو شأن الأئمة والعلماء من أهل السنة والجماعة منذ القرن الأول إلى يومنا هذا، وهو مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، هذا دربهم وهذا مسلكهم؛ سواء حفظوا القرآن كاملاً، ثم تعلموا أحكامه بعد ذلك، أو جمعوا بين الحفظ والعلم في وقت واحد، وهذا كله مع عدم تقصيرهم بما هو واجبٌ وفرضٌ عليهم من العمل، فلا تجد عندهم تقصيرًا فيما هو واجبٌ وفرضٌ عليهم، لا من جهة الأقوال ولا من جهة الأفعال، ومن ذم من هذا حاله أو انتقصه فهو المذموم المخذول، والله المستعان!!.

ومنهم من يحفظ القرآن قبل أن يتعلم ما هو واجبٌ عليه، وما هو فرضُ عينٍ عليه، ثم هو في الواجبات والفرائض مقصِّرٌ فيها ومضيِّع لها، وهذا الصنف من الناس هو الذي حذر منه الصحابة رضي الله عنهم، وحذر منهم الأئمة والعلماء جميعًا، وقد سبق ذِكر ذلك عند التعليق على قول ابن مسعود رضي الله عنه: "إِنَّكَ فِي زَمَانٍ كَثِيرٌ فُقَهَاؤُهُ قَلِيلٌ قُرَّاؤُهُ تُحْفَظُ فِيهِ حُدُودُ الْقُرْآنِ وَتُضَيَّعُ فِيهِ حُرُوفُهُ، وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قَلِيلٌ فُقَهَاؤُهُ كَثِيرٌ قُرَّاؤُهُ تُحْفَظُ فِيهِ حُرُوفُ الْقُرْآنِ وَتُضَيَّعُ حُدُودُهُ"، وذِكر أقوال الأئمة والشراح؛ ابن بطال، وابن عبد البر، وأبي الوليد الباجي، رحمهم الله تعالى فيه.

وبهذا نعلم أن قوله هنا رضي الله عنه وعن أبيه: "تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا إِيمَانًا، وَأَنْتُمْ تَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَتَعَلَّمُونَ الْإِيمَانَ"، لا شأن له بحفظ القرآن من عدمه، لا من قريب ولا من بعيد، وليس فيه أن حافظ القرآن دون تعلم التفسير مخالف لهدي الصحابة وخارج عن جماعتهم، لا من قريب ولا من بعيد أيضًا!!.

وقد سبق أن ذكرت أن وجود من يقع في المخالفة في هذا الباب، فيحفظ القرآن على غير الوجه المطلوب، ويقصِّر فيما هو واجب عليه، ليس معناه أنه لا وجود لمن يحفظه – في هذه

الأزمنة – على الوجه المطلوب، فيحفظه وقد أدى ما هو واجبٌ ولازمٌ عليه.

وفي تقرير هذا المعنى قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨هـ): "وإذا عُلِمَ أن الصحابة أخذوا عن الرسول لفظَ القرآن ومعناه، بل كانوا يأخذون عنه المعاني مجردةً عن ألفاظِه بألفاظٍ أُخَر، كما قال جُندب بن عبد الله البَجَلي وعبد الله بن عمر: تعلَّمنا الإيمانَ ثم تعلَّمنا القرآن، فازددنا إيمانًا. فكان يُعلِّمهم الإيمانَ، وهو المعاني التي نزل بها القرآن من المأمور به والمخبَر عنه المتلقَّى بالطاعة والتصديق، وهذا حق، فإن حُفاظ القرآن كانوا أقلَّ من عموم المؤمنين، فعُلِمَ أن بيانَ معانيه لهم كان أعمَّ من بيان ألفاظه" (جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية، ص: ١٢).

* خامسًا: استدلالهم بما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه، ولفظه:

"إنَّا صَعُب علينا حفظ القرآن وسهل علينا العمل به، وإن مَن بَعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به".

وهذا أيضًا لا حجة لهم فيه، ويُقال فيه كما قيل فيما سبقه من آثار، ومن أثر ابن مسعود رضي الله عنه نفسه؛ الذي سبق وذكرناه، وذكرنا ما قاله الأئمة والشراح؛ ابن بطال، وابن عبد البر، وأبو الوليد الباجي – رحمهم الله تعالى – فيه، وما فهموه منه، وأن هذا الفهم هو ما عليه أهل العلم والسنة.

فليس الأثر هنا في جواز حفظ القرآن من عدمه، ولا في كون حفظ القرآن على خلاف أثر أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله مخالفًا لهدي الصحابة، وخروجًا عن جماعتهم، كما هي دندنة هذه "المجموعة"، أصحاب هذا القول المنكر!!، وإنما هو في تَعلُّمِهم رضي الله عنهم، وفي تلقِّيهم العلم الشرعي من النبي صلى الله عليه وسلم ابتداءً – كما هو شأن الآثار الأخرى التي جاءت بهذا المعنى – وأنهم قد أدوا ما تعلموه مما هو واجبٌ وفرضُ عينٍ عليهم، والتزموا بهذا كله، وهم بهذا قد جمعوا بين العلم والعمل، وإن كانوا ليسوا جميعًا قد حفظوا القرآن، أو حملوه كاملاً، وإنما قد

حفظه منهم من حفظه، وحفظ بعضًا منه من حفظه، كما حمله منهم من حمله، ونقلوه لمن بعدهم، فرضي الله عنهم وأرضاهم، إذ حَمَلوا الدين ونقلوه لنا غضًّا طريًّا كما حَمَلوه، وكما تلقَّوه من النبي صلى الله عليه وسلم، سواء حفظوا القرآن أم لم يحفظوه، وسواء حفظوه كاملاً، أو حفظوا بعضه، ولو شيئًا يسيرًا، فليس علمهم محصورًا بالآية وبالآيتين التي قد حفظوهما، بل علمهم أكبر من ذلك وأوسع وأشمل، رضي الله عنهم وأرضاهم.

* سادسًا: استدلالهم بما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أيضًا، ولفظه:

"من تعلم القرآن فليتعلم الفرائض، ولا يكن كرجل لقيه أعرابي فقال له: يا عبد الله، أعرابي أم مهاجر؟ فإن قال: مهاجر، قال: إنسان من أهلي مات فكيف نقسم ميراثه، فإن علم كان خيرًا أعطاه الله إياه، وإن قال: لا أدري، قال: فما فضلكم علينا، إنكم تقرؤون القرآن، ولا تعلمون الفرائض؟".

وهذا الأثر أيضًا لا حجة لهم فيه، ويُقال فيه كما قيل في الآثار قبله، وزيادة على ذلك، فإن مراد ابن مسعود رضي الله عنه منه واضح وضوح الشمس، وذلك في قوله: "من تعلم القرآن فليتعلم الفرائض، ولا يكن كرجل لقيه أعرابي ... إلخ"؛ وفيه الحث على تعلم الفرائض وغيرها مما يحتاجه العالم ومَن هو مَرجعٌ للناس في الفتوى، وليس المراد منه المنع من حفظ القرآن أو من قراءته لمن لم يتعلم الفرائض أو غيرها من العلوم التي هي من فروض الكفاية، وليست هي من فروض الأعيان، لا من قريب ولا من بعيد، والأثر نفسه يُبيِّن هذا المعنى، ويرد على القائلين بتضليل حافظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه قولهم، ويُبطِله، وهذا واضحٌ في الأثر نفسه وضوح الشمس في رائعة النهار، كما يقال.

فقول الأعرابي: "فما فضلكم علينا، إنكم تقرؤون القرآن، ولا تعلمون الفرائض؟"، المراد منه: "أننا وإياكم نقرأ القرآن، فلستم وحدكم من يقرأ القرآن"، وقد جاء في أحد ألفاظه ما هو صريح في دلالته على ذلك، وذلك قوله:

"فإن لقيه أعرابي قال: يا مهاجر، أتقرأ القرآن؟ قال: نعم، قال: وأنا أقرأ القرآن، فإن قال: تَفْرِض، قال: نعم، كان ذلك، وإن قال: لا، قال: فما فضلك عليَّ".

وذلك يعني: أن الأعرابي قد حفظ القرآن كما حفظه ذلكم "المهاجر"، وهذا ظاهرٌ في قول الأعرابي: "وأنا أقرأ القرآن"، أي: كما تقرأه أنت أيها "المهاجر".

ثم هذا الأعرابي مع حفظه القرآن وقراءته له دون تعلم الفرائض، لم نجد من هذا "المهاجر" أنْ أنكر عليه، أو حكم عليه بأنه قد خالف هدي الصحابة، وخرج عن جماعتهم؛ لكونه قد حفظ القرآن دون أن يتعلم معه الفرائض!!.

بل لم نجد من عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نفسه، وهو صاحب هذه المقولة؛ أنْ أنكر على هذا الأعرابي حفظه القرآن وقراءته له دون أن يتعلم معه الفرائض، ولا أنه حكم عليه بأنه قد خالف هدي الصحابة، وخرج عن جماعتهم!!.

سابعًا: استدلالهم بما جاء عن الحسن البصري رحمه الله (ت: ١١٠هـ)، ولفظه:

"أُنزِل القرآنُ ليُعمَل به فاتخذ الناس تلاوته عملاً".

ورواه بعضهم عن ابن مسعود رضي الله عنه، وعن غيره، وهذا الأثر من تأمَّله وتأمَّل أقوال العلماء وما ذكروه تحته، لبان له الأمر، وفَهِم مُراد الأئمةِ مِن كل ما جاء في هذا الباب من آثار، وأنها يجمعها معنًى واحد، وهو أن الصحابة رضي الله عنهم قد تعلموا وأخذوا دينهم من النبي صلى الله عليه وسلم، فأحسنوا في فهمهم للدين، وفي تَعبُّدِهم لله عز وجل، فعمِلوا بالقرآن، سواءٌ حَفِظوه أم لم يحفَظوه، بخلاف من جاء بعدهم، فقد وُجِدَ فيهم، من لم يُحسِن فَهمَ الدين، ولا فَهمَ الأحكام الشرعية، وما هو لازمٌ وواجبٌ عليه، وما هو محرَّمٌ عليه، فَحفِظ القرآن أو تَلاهُ مع جهله بهذا كله.

ومما يُبيِّن هذا المعنى ويُوضِّحه؛ استدلال العلماء به على ما هو مخالفٌ شرعًا، دون أن يمنع

أحدٌ منهم مِن حفظه، أو أن يجعلوا حِفظَه مخالفًا لهدي الصحابة، وخروجًا عن جماعتهم.

فمن استدلالاتهم:

– قول السرخسي الحنفي رحمه الله (ت: ٤٨٣هـ) في (المبسوط): "(أُنزِل القرآن ليُعمَل به، فاتخذ الناس تلاوته عملاً)، وحصول هذا المقصود عند قراءة الإمام وسماع القوم، فإذا اشتغل كل واحد منهم بالقراءة لا يتم هذا المقصود، وهذا نظير الخطبة فالمقصود منها الوعظ والتدبر، وذلك بأن يخطب الإمام ويستمع القوم لا أن يخطب كل واحد منهم لنفسه ..."اهـ.

– وقول ابن الجوزي رحمه الله (ت: ٥٩٧هـ) في (تلبيس إبليس): "فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقراءات الشاذة وتحصيلها فيفني أكثر عمره في جمعها وتصنيفها والأقراء بها ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات، فربما رأيت إمام مسجد يتصدى للإقراء ولا يعرف ما يُفسد الصلاة وربما حمله حب التصدر حتى لا يرى بعين الجهل على أن يجلس بين يدي العلماء ويأخذ عنهم العلم، ولو تفكَّروا لعلموا أن المراد حفظ القرآن وتقويم ألفاظه، ثم فهمه، ثم العمل به، ثم الإقبال على ما يصلح النفس ويطهر أخلاقها، ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع، ومن الغبن الفاحش تضييع الزمان فيما غيره الأهم، قال الحسن البصري: "أُنزِل القرآن ليُعمَل به فاتخذ الناس تلاوتَه عملاً" يعني أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به، ومن ذلك أن أحدهم يقرأ في محرابه بالشاذ ويترك المتواتر المشهور، والصحيح عند العلماء أن الصلاة لا تصح بهذا الشاذ، وإنما مقصود هذا إظهار الغريب لاستجلاب مدحِ الناس وإقبالِهِم عليه وعنده أنه متشاغل بالقرآن ..."اهـ.

ومن تأمل هذه الأقوال علم أن الأمر ليس محصورًا في هذه المخالفات التي ذكرها الأئمة، بل يدخل فيه كل ما هو مخالفٌ للأصل وللمعنى الذي أُنزِل القرآن لأجله، فلو قال قائل: المراد بهذا الأثر؛ المنع من تعليق الآيات على الحوائط والجُدُر، لكان قوله صحيحًا، ولو قال بأن المراد به المنع من قراءة القرآن على القبور، وعلى الجنائز، وفي المآتم، لكان قوله صحيحًا، وهكذا.

وهنا قاعدة لابد أن تُفهَم وتُضبَط، وهي أن العبادة هي التي تحتاج إلى إثبات، وإلى دليلٍ

تَثبتُ به، لأن الأصل في العبادات المنع، أما ما هو مخالفٌ لهذه العبادة، فأفرادُها كلُّها تُذكَر وإن كثُرَت، فكل ما هو مخالفٌ للمعنى الذي أُنزِل القرآن لأجله، يصح أن يُقال فيه: "أُنزِل القرآن ليُعمَل به فاتخذ الناس تلاوتَه عملاً"، وهذا أمرٌ معلوم، فالنوع الواحد قد يندرج تحته كثيرٌ من المسائل، ومن الأفراد، وتكون من خلاف التنوع، كمن يُفسر الإيمان بالصلاة إذا رأى تقصير الناس فيها، وكمن يُفسره بالزكاة إذا رأى تقصير الناس فيها، وكمن يُفسره بالصيام إذا رأى تقصير الناس فيه، وهكذا.

والمقصود: أن كل هذه الآثار وما في معناها، المراد منها أمران:

– الأمر الأول: حث المسلمين على تقديم ما هو أولى وأوجَب، وذلك بأن يُقدِّموا ما هو واجبٌ عليهم، لكيْ يَسلَموا من الإثم ومن المخالفة، إذ أتوا بما هو واجبٌ عليهم، ثم يُتبِعوه بعد ذلك بالمستحبات إن أرادوا، كحفظ القرآن وغيره من فروض الكفاية، والتي تكون في حقهم مستحباتٌ مادام في الأمة من هو حافظٌ له، ولا قائل مِن الصحابة ولا ممن جاء بعدَهم بتحريم حفظ القرآن إن لم يجمَع معه التفسير، ولا بأن هذا الفعل بدعةٌ، ولا بأن فاعِلَه خارجٌ عن هدي الصحابة، ولذلك لم نجد مِن عمر رضي الله عنه أنه حرَّم حفظ القرآن حين كَثُر الحُفَّاظ بعد أن فَرَض لهم في الديوان، ولا أنه منعهم من حفظه، ولا أنه حكم على حافظه بالمخالفة، ولو كان حفظُه ممنوعًا شرعًا لعاقبهم عليه، وهو خليفة المسلمين، وإنما كل ما فعله أنه منع عنهم ما فَرَضَه لهم إذ خشي عليهم أن ينشغلوا به عمَّا هو واجبٌ عليهم، وأن يحملهم حفظُه مع جهلهم في الدين على أن يَغتروا بأنفسهم وبحفظهم القرآن، فيقعوا في المخالفة، كما هو حال كثير من القراء اليوم، فهم مع جهلهم في الدين؛ يظنون أنفسهم من أعلم الناس به، ومن هنا تجرأوا على دين الله عز وجل، وعلى الفتوى، والقول على الله عز وجل بغير علم، وغير ذلك مما خشيه عمر، وغيره من الصحابة رضي الله عنهم.

ومَنعُه رضي الله عنه ما فَرَضَه لهم؛ لكيْ يحفَظَه من هو راغبٌ فعلاً في حفظه، دون أي

تأثير، وبهذا يُقدَّم الأولى فالأولى.

ومثله يُقال في أثر ابن عباس رضي الله عنهما، فمع خشيته أن يختِصموا، وأن يحتَقُّوا، إلا أنه لم يُحرِّم عليهم حفظ القرآن، ولم يَمنعهم من حفظه، ولم يحكُم على حافظِه بالمخالفة.

بل أقول: لو كان حفظ القرآن دون أن يجمع حافظه معه التفسير مما هو ممنوع شرعًا لنصَّ الصحابة رضي الله عنهم على ذلك صراحةً، إذ ليس مَن بعدَهم بأولى بالحرص على حفظ الدين منْ أن يَدخُلَه ما هو مخالفٌ له منهم.

– والأمر الثاني: إثبات أن ما من أحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم حَفِظَ شيئًا من القرآن؛ إلا وقد جمع بين الحفظ والعلم والعمل، خلافًا لمن جاء بعدَهم، فقد يوجد فيهم من يجمَع بين الحفظ والعلم والعمل، وفيهم من يقتصر على الحفظ والعلم فقط، ويُقصِّر في العمل، وفيهم من يقتصر على الحفظ فقط، مع تقصيره في العلم والعمل.

فليسوا جميعًا قد جمعوا بين الحفظ والعلم والعمل، كما هو شأن الصحابة رضي الله عنهم، وهذا معنى قولهم بأن مَن يأتي بَعدهم يسهل عليه حفظ القرآن ويصعب عليه العمل به، فهو وصفٌ لمن هذا حالُه، وهم الأكثر، ولا يلزم منه أنْ لا يوجد في الأزمنة المتأخرة مَن يجمَع بين الحفظ والعلم والعمل، كما هو حال أئمة السنة وعلمائها منذ عصر التابعين إلى يومنا هذا، وخير دليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُم ولا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ كَذَلِكَ".

فالأولى والحال هذه حث المسلمين على سلوك هذا الطريق، الذي هو طريق الصحابة ومَن بعدَهم من الأئمة، لا على صرفهم عن حفظ القرآن وعن تلاوته بمثل هذه الآثار، التي هي بعيدة كل البعد في معناها عمَّا تُقرره هذه "المجموعة" القائل أهلها بإخراج حافظ القرآن دون تعلم التفسير عن هدي الصحابة، وعن جماعتهم!!.

وبهذا تم المقصود من هذا المقال، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

كتبه

علي حسين الفيلكاوي

وتم الانتهاء منه

يوم الجمعة ١٧ جمادى الأولى ١٤٤٥هـ

الموافق ١ / ١٢ / ٢٠٢٣م